العولمة الثقافية بين القبول والرفض

د/ بن لباد الغالي، جامعة تلمسان د/ : ملوكي جميلة ـ جامعة تيارت

لقد سال حبر غزير حول ظاهرة العولمة وأصبحت في طليعة مشاغل النخبة المثقفة، أكانت من البلدان المتطورة أو من المجتمعات النامية، فعالمنا المعاصر اليوم يمر ومنذ عقد التسعينات بتحولات كبرى غيرت من ثوابت الفكر وتوجهاته واستراتيجيات التنمية والتخطيط فيه.

وأحدث ذلك انقلابا هائلا وثورة عارمة شملت كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فبعد تفكك الاتحاد السوفياتي وانهياره في أوائل التسعينات، وتبوأ الولايات المتحدة الأمريكية عرش القوة، وسعيها إلى انتشار نظام اقتصادي عالمي جديد، يليه نظام جديد للتجارة العالمية، ثم نظام إعلامي جديد، شرع المنظرون الأمريكيون في التحدث بجدية واهتمام بالغ عن وضع نظام ثقافي عالمي جديد ، الغرض منه السعي نحو توحيد الثقافات وتقريب شقة الخلافات بين الحضارات تحت ما يسمى بالعولمة الثقافية cultural globalisme وهو مفهوم آخر تدعو إليه الدول الغربية عل رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إل توحيد ثقافات الأمم والشعوب وصقلها في بوتقة العالمية.

ويرى منظروها ومؤيدوها بأنها إيجابية في العموم، بيد أن آخرين يرون فيها مخاطر عديدة ومنهم المفكرون العرب، الذين اختلفوا في تحديد موقفهم تجاه العولمة، وانعكاساتها عل مختلف جوانب الحياة بما فيها الثقافية.

سوف نحاول أن نعالج في هذا الطرح موضوع العولمة الثقافية ونجيب عل سؤالين هامين هما: هل الثقافة العربية وخصوصا الإسلامية تقبل العولمة الثقافية أم ترفضها؟

أو بطريقة أخرى:

هل الثقافة العربية تقبل الإنفتاح على العولمة الثقافية والتعددية الثقافية، أم تطالب بالأحادية، وتواجه تحديات العولمة ؟

أم تجمع بين الموقفين وتحاول التوفيق بين الثقافة العربية الإسلامية والعولمة مع أخذ المتغيرات العالمية بعين الإعتبار؟

مفهوم العولمة:

تعتبر العولمة ذلك المصطلح الذي أثار ويثير إشكاليات كبيرة وعديدة من حوله، حيث كثرت التعاريف، وأثارت جدلا واسعا ومتشعبا بين الباحثين لاختلاف تياراتهم ومذاهبهم ومرجعياتهم التي ينتمون إليها، كما تختلف التعاريف وفق مبدأ الانتماء أو الاعتراض عن هذه الظاهرة، فالمشككون في نوايا هذه الظاهرة تختلف تعريفهم عن المؤيدين لها.

وعموما معنى العولمة لم يرد في معاجم اللغة العربية وهو يعتبر مصطلح حديث، علما بأن جذرها اللغوي هو "علم" ومنه العالمون. وهو من أصناف الخلق والعالم... وهو لفظ دال على جمع، ولا يوجد له مفرد من لفظه.

ويجمع على وزن فعول... وكذلك فإن جمع عالم هو عوالم أما ما قاله وهب بن المنبه بأن الله سبحانه وتعالى له ألف عالم والدنيا من عالم واحد.(1)

والعولمة هي الترجمة الحرفية لكلمة: Globalization، وهذه الكلمة تعني إعطاء الشيء صفة العالمية، والخروج من نطاق المحلية والإقليمية "وأصل هذه الكلمة بالإنجليزية هو (Globe) وتعني كرة، كرة أرضية أو كرة جغرافية، وهي بدورها مشتقة من الكلمة اللاتينية (Globus) وجاء في معجم (webster's):

To globalize, to make, global, Espto make world in scope or application .

وهذا يعني إكساب الشيء طابع العالمية وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا"(2)

أما مفهوم العولمة إصطلاحا : فلم نجد له مفهوما واحدا شاملا اتفق على صياغته المفكرون. فقد عرفت بأنها: "نظام عالمي جديد قائم على العقل الإلكتروني و الثورة المعلوماتية والإبداع التقني غير المحدود. دون الأخذ بعين الإعتبار الحضارات والقيم والثقافات والأعراف. والحدود الجغرافية و السياسية السائدة في العالم قاطبة"(3) كما عرفت العولمة على أنها: "العملية التي من خلالها تزداد إمكانية رؤية العالم كمكان أوحد، بالإضافة إلى الطرق التي تجعلنا في حالة وعي بهذه العملية، والعولمة هي انكماش المكان وتسارع الزمان، واتساع علاقات الإنسان، والعولمة أو الكونية Globalisation هي العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب التي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزؤ إلى حالة الإقتراب والتوحيد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامةّ(4)

ويرى بعض الباحثين والمحللين أن المفاهيم التي عالجت ظاهرة العولمة وإن تنوعت وتشعبت إلا أنه يمكن أن تنحصر في اتجاهين:

الأول: اتجاه كلي بحيث نجده يصور العولمة ويعرفها من خلال جميع جوانبها، سياسية كانت أو اقتصادية أم ثقافية.

الثاني: هو اتجاه كلي كذلك يصور العولمة من خلال الكشف عن أهم جوانبها وسماتها.

وعلى إثر هذين الاتجاهين تم تقسيم وتمييز أربع مجموعات، تمثل كل مجموعة تيارًا مستقلا وهي على النحو التالي:

"التيار الأول: يراها حقبة تاريخية لفترة زمنية معينة.

والتيار الثاني : يراها مجموعة تجليات لظاهرة اقتصادية.

والتيار الثالث: يراها ثورة تكنولوجية واجتماعية.

والتيار الرابع: يراها هيمنة وتسلطا للقيم الأمريكية"(5)

وإن تمعنا في هذه التعريفات جميعًا وغيرها، للاحظنا أن كل تعريف يتضمن أو يشتمل أحد جوانبها.

فهي من جهة تمثل حقبة تاريخية، ومن جهة أخرى تشمل مجموعة من الظواهر الإقتصادية المتسلسلة والمتتابعة، ثم هي أكيد عبارة عن هيمنة للقيم الأمريكية بعد سقوط الإتحاد السوفيتي وانهيار الكتلة الاشتراكية وبروز القدرات التكنولوجية العالمية.

ما أدى بطبيعة الحال إلى النتيجة الأخيرة وهي ثورة تكنولوجية في جميع المجالات أثرت على كل الأبعاد سواء كانت إقتصادية أو سياسية أو إجتماعية أو ثقافية و التي هي محل دراستنا في هذا المقام. وقد تحدث مطولاً كل من الدكتور "إبراهيم عبد الهادي ومحمد محمود المهدلي "في كتابهما "العولمة وأثرها في التخطيط الاجتماعي"، عن تعار يف عدة لظاهرة العولمة حيث ومن خلالها أبرزا التسلسل والتدرج الذي حصل لمفهوم العولمة بناءًا على تطور الأحداث والوقائع على أرض الواقع.

2 صور وأشكال العولمة:

السرعة هي ميزة هذا العصر، عصر السرعة، فسرعان ما تظهر ظاهرة إلى الوجود، سرعان ما تنتشر، وتزحف بقوة إلى كل المجتمعات وهي ميزة هذه الظاهرة، ظاهرة العولمة.

فسرعان ما ظهرت موجة العولمة، كثر الحديث عنها، فأخذت تزحف بقوة إلى كل المجتمعات، وسرعان ما تحول العالم إلى قرية صغيرة، وسرعان ما تدفقت التحولات والتغيرات من كل الإتجاهات وفي كل المجالات وشملت جميع الثقافات،و اتخذت مختلف الأشكال.

فقد تعددت صور العولمة ودخلت كل مجالات الحياة، خاصة وأن الحديث عنها تزامن مع بروز مجموعة من الظواهر الحياتية والمستجدات الفكرية والتطورات التكنولوجية والعلمية. والتي تزيد وتسهل إلغاء الحدود والفواصل القائمة بين الأفراد والمجتمعات والثقافات والدول.

ونتاجا لهذه المتغيرات السريعة والمتلاحقة تكونت شركات متعددة الجنسيات استطاعت السيطرة على معظم أجزاء المعمورة إقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا.

أ - المجال الاقتصادي:

لعل أول مفهوم للعولمة كان إقتصاديا قبل أن يكون إجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا أو علميا. فقد كان الاقتصاد أولى المجالات التي عولمتها العولمة وأكثرها تحقق على أرض الواقع وأكثرها اكتمالا. فهي تقوم على أنماط الاقتصاد المتطورة من النظام الرأسمالي، وهي على حسب رأي "روبرت كوكس، تمويل عمليات الإنتاج وتشغيل العملة، وحركة الهجرة، وبيئة التنافس في المجتمع الدولي التي تتجاوز قدرات الدول التقليدية، وتجعل من الدول مجرد وكالات في عالم واحد" (6)

فبعد تفكك المعسكر الشيوعي وبروز النظام الرأسمالي تشكلت مجموعة من النظم الإقتصادية وتوحدت تحت شعار نظام اقتصادي عالمي واحد تحكمه أسس عالمية مشتركة وتديره مؤسسات وشركات عالمية لها التأثير على جميع الاقتصاديات المحلية. أما الأسواق التجارية والمالية العالمية فإنها وكما يقول (مالكولم واترز) لم تعد موحدة أكثر من وقت آخر فحسب، بل هي خارجة عن تحكم كل دول العالم بما في ذلك أكبرها وأكثرها غنى (7).

وقد تبنت العديد من الدول هذا النظام الديمقراطي واقتصاديات السوق والخصخصة للإنعاش اقتصادها وتكييفها مع النظام العالمي الجديد والمنظمات الدولية التابعة له كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية والشركات المتعددة الجنسيات وهي تجربة لظاهرة العولمة بمعناها الاقتصادي.
وهكذا يتم انصهار أكبر عدد ممكن من اقتصاديات الدول سواء كانت فردية أو وطنية أو إقليمية في اقتصاد عالمي واحد تحكمه وتتحكم فيه دول تفوقت وانفردت بقيادة السوق العالمية في كافة القوى الإقتصادية.

ب - المجال السياسي:

يمكن القول أن العولمة بشكل عام يحركها جانبان قويان هما الاقتصاد والسياسة ، فقد لاحظنا أنه في المجال الاقتصادي تراجعت قدرة الحكومات الوطنية على توجيه الأنشطة الاقتصادية أو السيطرة عليها بظهور نظام تقسيم جديد للاقتصاد العالمي. وتزايد دور الشركات المتعددة الجنسيات عن طريق تزايد أرباحها واتساع أسواقها وتعاظم نفوذها في التجارة الدولية وفي الاستثمار، وهذه التحولات وغيرها وضعت نهاية للنظام الدولي القديم، وأسهمت في وضع متغيرات وفق النظام العالمي الجديد على المستوى السياسي، أهمها:

ظهور موجات ذات طابع عالمي من التحول الديمقراطي والاتجاه نحو الاقتصاد الذي نتج عنه ثورة في المعلومات والاتصالات، حيث خلقت هذه الأخيرة واقعا جديدا لم يعد باستطاعة أي نظام سياسي أن يتحكم في بعض الحقائق وإخفاءها عن العالم الخارجي تحت ما يسمى بالديمقراطية.

كما تراجعت مبدأ السيادة الوطنية للدول ما خلق انطباعا لدى بعض الأفراد بأن الدولة لم تعد ضرورية، فهناك إنتقال حر للأفراد والسلع والخدمات والأفكار والمعلومات عبر المجتمعات والقارات.

إن العولمة السياسية "لا تعني القضاء على الدولة أو بروز الحكم العالمي ، وإنما تتضمن دخول البشرية إلى مرحلة سياسية جديدة يتم من خلالها الانتقال الحر للقرارات والتشريعات والسياسات والقناعات والخيارات عبر المجتمعات والقارات، وبأقل قدر من القيود والضوابط ، متجاوزة بذلك الدول والحدود الجغرافية فتزداد بذلك الروابط السياسية بين دول العالم على نسق غير مسبوق من قبل" (8)

فالعولمة السياسية بهذا الشكل تمثل مزيجا متباينا من الروابط والعلاقات المتداخلة التي تتجاوز الدولة القومية، فمثلا تكون الأحداث والقرارات والأنشطة في جزء من العالم لها أثر ونتائج مهمة على أفراد وجماعات أخرى من جزء آخر من العالم. وهي بذلك تمثل حلا لمشكلات إنسانية مشتركة والتي لم تُحل من قبل السيادة الوطنية المطلقة للدولة مثل البيئة والتلوث ومشكل الطاقة، وندرة المياه، والجفاف، والتصحر ومشكلة الإرهاب والعنف السياسي والجريمة المنظمة والمخدرات والأمراض القاتلة كالإيدز... وغيرها من المشكلات التي تستلزم تكاثف الجهود الدولية وتضافر الإرادات السياسية للدول في سبيل الوصول إلى حلول ناجعة وفعالة.

لكن من جهة أخرى هذه العولمة السياسية بطريقة أو أخرى تجعل سيادة الدولة متناقصة وتتجه نحو التآكل نتيجة العلاقات الدولية فيما بينها في شتى ميادين الحياة وهو ما يقلل من فعالية الدولة في صنع قراراتها السياسية ، ويظهر ذلك واضحا من خلال بعض الملامح:

"كالتوسع المتزايد في إبرام الاتفاقيات الدولية المتسارعة، والنظم الدولية التي تتضمن قواعد وأحكاما ملزمة لعموم الدول ويمكن أن نتمثل هذه القواعد والأحكام في النقاط التالية:

*وجود قواعد قانونية دولية آمرة حاليا تختص بتنظيم مجالات عديدة وقد أصبحت لهذه القواعد حجة في مواجهة كافة الدول ، فلا يجوز بحال الاتفاق على ما يخالفها، ولو كان تحت مُسمى السيادة الوطنية.

*قد أصبحت وفي نطاق المجتمعات الدولية نظم للرقابة والإشراف الدولي تقوم بمهام التحقيق والتفتيش، كاتفاقيات حقوق الإنسان والتسلح النووي واتفاقيات العمل...

*الإتجاهات الحديثة في مجال تقنين قواعد المسؤولية الدولية.

*الإتجاه المتزايد نحو إقامة الكيانات الدولية عابرة القوميات أو فوق القومية، ..." (9)

إن العولمة السياسية بهذا الشكل تسعى إلى مغزى أساسي في إطار بعد دولي، وهو ما يتوقع تحقيقه من خلال المنظمات الدولية التي هي أحد أدرعة العولمة ، كهيمنة الأمم المتحدة الأمريكية ومجلس الأمن الدولي وغيرها ، والتحكم في القرارات السياسية إضافة إلى عناصر القوة الأخرى كالعناصر الاقتصادية والعلمية التكنولوجية... وغيرها وبالتالي تزيد الدول القوية قوة ، والدول الضعيفة ضعفا وفقرا.

ج - المجال الاجتماعي: لقد ارتبطت العولمة السياسية ببروز مجموعة من القضايا والمشكلات الإجتماعية والتي تستدعي الاستجابة الجماعية على صعيد كل دولة ، كالبيئة والتلوث والتصحر وندرة المياه والمجاعة والانفجار السكاني وغيرها من المشاكل الإجتماعية التي تحتاج إلى تكثيف الجهود وتوحيدها من أجل حل المشكلات المشتركة والتي تعود بالفائدة على كل البشرية. وهي عبارة عن مبادئ اجتماعية تسعى إلى نشر العولمة الاجتماعية، وعدم التمييز العنصري في خضم عالم واحد، تجمعه مصالح مشتركة ومنافع اجتماعية وجماعية كالإحساس بالخطر الواحد الذي يهدد البشرية جمعاء أو كالسعي إلى تحقيق الأمن الجماعي وغيرها من المبادئ كإزالة أشكال التعصب والتمييز العنصري والعرقي...

إن مثل هذه الجهود وغيرها كثير، والتي تسعى العولمة لحلها ستتيح للعالم أجمع بكل اختلافاته الاجتماعية بالعيش في أمن وسلام.

إلا أن هذه العولمة الاجتماعية التي لها من الإيجابيات ما استدعى الترحيب من قبل دول ومجتمعات، لها من الاحتمالات المقلقة ما تعود بالخطر على الفرد والمجتمع:

فالعولمة تبدو مقلقة "إذا كانت زيادة توظيف الشركات الاحتكارية لقدراتها المالية والتنظيمية من أجل استغلال ثروات الشعوب وزيادة تغلغلها في إقتصادات الدول النامية التي عانت ما فيه الكفاية من الإستغلال والنهب الإستعماري والإمبريالي، والعولمة مقلقة إذا كانت تتضمن زيادة الفجوة الإقتصادية والحضارية القائمة حاليا في العالم بين الدول الغنية التي تزداد غنى والدول الفقيرة التي تزداد فقرا. والعولمة مقلقة أيضا إذا كانت تتضمن إحتمال صدام الحضارات، وصراع المناطق الحضارية ودخولها في حروب دامية وعنيفة وربما كانت أكثر دموية من كل الحروب التي شهدها التاريخ البشري. والعولمة مقلقة إذا كانت تعني الأمركة واستفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالشأن العالمي، ونشر نموذجها الحياتي وتعميمه على الصعيد العالمي..."(10)

باختصار فإن العولمة وإن فتحت للمجتمعات بعض الفرص وأتاحت لها بعض السبل، إلا أنها ساهمت في إتساع الفوارق بين المجتمعات وبين أفراد المجتمع الواحد من الأغنياء والفقراء، ونتج عن ذلك اشتداد التوترات والعنف والجريمة المنظمة وساهمت في إلغاء النسيج الحضاري والإجتماعي للشعوب والذي أدى إلى اختراق قوميات وتدمير هويات، والقيام بتفتيت وحدة بعض الدول والكيانات.

د - المجال الثقافي:

إذا كان لمصطلح العولمة حضور قوي في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي فإنه لابد من الإشارة إلى أن حضور هذا المصطلح أقوى في المجال الثقافي. فالعولمة كما سبق الذكر، نظام متكامل يهدف بصفة عامة إلى صبغ العالم بصبغة واحدة في جميع المجالات بحيث يتقارب البشر وتذوب بينهم الفوارق في الفكر واللغة والمعتقدات ، في أشكال التبادل التجاري والصناعي والثقافي... دون إعتبار للحدود الجغرافية والمكانية والخصوصيات الثقافية بحيث يصبح العالم وأفراده وكأنهم يعيشون في قرية واحدة.

وربما يكون المدلول اللفظي لمصطلح العولمة مفيدا في هذا المجال لفهم المقصود بها. حيث أن المدلول اللفظي يشير إلى اشتراك البشر في هوية واحدة، أكانت اقتصادية أو تجارية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية.
وهذا الإشتراك الواحد في المجال الثقافي، هو في حقيقة الأمر ظاهرة جديدة في مجال العولمة لم تكتمل بعد مجالاتها التأسيسية، و لم تبرز معالمها في الحياة الثقافية إلا خلال عقد التسعينات، بحيث أنها ليست بنفس الوضوح الذي هي عليه العولمة الإقتصادية و التي إكتملت معالمه على أرض الواقع.

فقد يبدو للوهلة الأولى أن العولمة الثقافية هي ترك الحرية المطلقة للثقافات الأخرى أن تعبر عن نفسها، وتنتقل من نطاقها الضيق إلى آفاق رحبة وواسعة من العالم وفق فرص متكافئة ، بحيث تتفاعل الثقافات فيما بينها في ظل ثورة الإتصالات التي تسهل من نقل الأنماط الحضارية والثقافية من منطقة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر.

إلا أن هذا الانتقال من المحلي إلى العالمي وهذا التفاعل والتقارب بين الحضارات والثقافات يبدو مجرد واحد من الوجود العديدة للعولمة الثقافية ، لأن العالم الواقعي يخالف ذلك و ينتقده.

فتدفق المعلومات يجري باتجاه واحد، من الغرب إلى الشرق، وهناك عدم تكافؤ الفرص نتيجة التفوق الإعلامي والتطور التكنولوجي و المعلوماتي ما ساعد على هيمنة ثقافة على أخرى، ورواجها على الصعيد العالمي. وهو ما أفقد العديد من الدول قدرتها على التحكم في السيطرة على تداول الأخبار وانتشارها بسرعة سواء تلفزيونيًا أو هاتفيًا أو إلكترونيًا.

وهذه الإشكاليات أدت إلى تساؤلات عدة على مستوى الساحة الفكرية ، عن قضية العلاقة بين سرعة انتشار المعلومات وديمقراطية الفكر والثقافة ، وعن قضية الإنفتاح الحر والمتزايد على الثقافات الغالبية أو الغربية، هل ستؤدي إلى قدرة شعوب هذه الثقافات وهذه الحضارات إلى التعامل مع التعددية الثقافية والحضارية التي توفرها العولمة أم ستؤدي بهذه الشعوب إلى إذلالها ومحو ثقافتها وهويتها القومية؟

إن السعي من أجل تقارب الحضارات وانفتاح الثقافات على بعضها البعض ، ومحاولة خلق عالم ثقافي واحد يتيح الفرصة لجميع الثقافات بالانصهار فيه، هو مجرد وجه من الأوجه العديدة للعولمة الثقافية، "ذلك بأنه بقدر ما يسعى التوجه العام نحو تقارب الثقافات وإنفتاحها، فإن العولمة الثقافية يمكن لها أن تتجه نحو صراع الحضارات ، و نحو الهيمنة الثقافية لثقافة واحدة على سائر الثقافات ، ونحو نشر الثقافة الاستهلاكية وجعلها الثقافة الأكثر رواجا على الصعيد العالمي"(11)

إن بلوغ البشرية مرحلة الحرية الكاملة في انتقال الأفكار والمعلومات والحرية والديمقراطية في تبادل القيم والأذواق والثقافات بأقل قدر من القيود والعراقيل والضوابط يفقد الدولة القدرة على التحكم في شعوبها والسيطرة على أفراد مجتمعاتها، وهو أخطر ما يمكن أن تعانيه الشعوب والأمم من العولمة التي تسعى إلى طمس هوية وثقافة هذه الدول وتراثهم. وهو بُعد يضاف إلى الأهداف السياسية للعولمة وما يتوقع تحقيقه من خلال المنظمات الدولية التي هي أحد أذرع العولمة.

3 - <u>العولمة الثقافية وأثرها على الثقافة العربية</u>:

يشير الكثير من المفكرين والباحثين في هذا المجال إلى أن العولمة الثقافية هي في الأساس نشر لقيم وعناصر الثقافة الغربية، وذلك بفعل هيمنة وسائل الإعلام الغربية وبفعل قوة الغرب وقوة علومه وسياساته واقتصاده وتجارته، وصبغ العالم بصبغة غربية في مختلف مجالات الحياة بما فيها الثقافية.

فإذا كان هذا هو جوهر الثقافة "المعولمة "وجوهر أهدافها، فما هو أثرها على الثقافة العربية. وما هو موقف العرب منها. وما هي تحديات الثقافة العربية في عصر العولمة؟

إن العالم العربي المعاصر يعيش عالمين متناقضين حاملا في شخصيته ثقافتين متباعدتين يصعب التقريب بينهما، وهما ثقافتين غير متكافئتين في المبادئ الأولى:

ثقافة تراثية مفعمة بالمواطنة الأصيلة والإرث المشترك والأعراف المتنوعة، والثانية "عولمية" تغريبية تسلبه مبادئ الثقافة الأولى، وتدفعه نحو "العصرنة" الكوكبية المصطنعة.

فأصحاب الثقافة الأولى يرون أن هذه العولمة تهدد هويتهم العربية والإسلامية، وينبغي رفضها جملة وتفصيلا، بينما يرى الفريق الثاني أن العولمة هي خدمة للبشرية لمواكبة المجتمعات المتطورة وتحسين حياة الإنسان، وهي قادمة من المجتمعات المتقدمة، وفيها أحدث ما وصل إليه العلم من وسائل الإتصال والتقنيات الحديثة لذلك ينبغي أن نغتنم هذه الفرصة. ونواكب التطورات للاستفادة من ثمراتها.

وفي حقيقة الأمر كلا الموقفين يعيشان حالة من اللا ّاستقرار مع دواتهم.

فالأول يعيش في عالم من الخيال ونسق من الوهم يصنعه لذاته. ويهرب من العالم المحيط وينتقده ويثور عليه وينكص إلى ماضيه، بل يتباكى عليه ، في حين نجده مظهريا وخارجيا وفي استعمالاته اليومية يسعى إلى الوصول إلى أرقى مظاهر التقدم ،ويقتني أرقى وأحدث الوسائل التكنولوجية.

والثاني كذلك يعيش في عالم من الخيال ونسق من الوهم بحيث نجده يندمج في ثقافة غيره، ويتبنى بعض القيم والأفكار التي تسلبه هويته فتجعله يهرب من واقعه وينصهر ويهيم في الثقافات الغربية لمواكبة التطور واللحاق بركب الحضارة المتقدمة. فيقلل من شأن تراثه ويقطع صلته بماضيه وبالتالي تسلبه خصوصيته الثقافية والوطنية والدينية، ويفقد هويته ويصبح غير قادر على مصارحة نفسه وتكييفها مع الواقع. هل يتعايش مع الآخر وبكل خصوصياته الثقافية من أجل إعادة إنتاج الذات أم يتصالح معا ذاته ويعود إلى القيم الاجتماعية والفكرية التي تأصلت في حياة مجتمعه.

وتعود هذه الحالة الضبابية والرؤية التشاؤمية في مواقف المثقفين وغيرهم تجاه ظاهرة العولمة الثقافية إلى اختلافهم في نقطتين جوهريتين هما:

1 - اختلاف مفهوم العولمة لدى كل طائفة من المثقفين

2 - واختلاف الرؤى حول مدى العلاقة بين العولمة من جهة وبين الهوية من جهة أخرى.

فهناك من لا يرى في العولمة إلاّ ذلك التقدم التكنولوجي وتسارع معدل انتقال التجارة، وانتقال الأفكار والقيم وأساليب الاستهلاك والتنافس الذي يخلف آليات فعالة لضمان الجودة والنوعية للسلع والخدمات... التي تساهم في زيادة الإنتاج أضعافا مضاعفة، وهو في سبيل ذلك مستعد لأن يغفل للعولمة أي تأثير سلبي يمكن أن ينتج عنها ويضر بالهوية الثقافية.

فهذه الفئة تجدها مفتونة بالحضارة الغربية بوجه عام ، ومفتونين بالديمقراطية الغربية وبالعلاقات الإجتماعية الغربية وبغزارة الإنتاج الثقافي في الغرب، ويتمنون للآخرين الالتحاق بكل هذه الإنجازات ومشاركتهم لها والاستفادة من ميزاتها. وهي فئة تنادي بقبول العولمة واتخاذها منهجا وطريقة في الحياة.

وبالمقابل هناك من يرى في العولمة أنها ليست غزوا اقتصاديا وتكنولوجيا وعلميا، بل هي غزو قومي تهدد هوية الأمة العربية وهي نظرة قد تكون من منبع ديني قبل كل شيء لأن العولمة تنكرت لكل الأديان وآمنت بالعلمانية التي حسب رأيهم لا تبتعد كثيرا عن الكفر.

إن الثقافة العربية في زمن العولمة تعيش في ازدواجية الفكر بين إرث المحافظة على التراث والماضي الموروث الحضاري والسعي إلى القطيعة مع العولمة والتصدي لها للحفاظ والدفاع عن الهوية الثقافية من مخاطر العولمة.

لكن بهذا الشكل لا يتم الدفاع عن الهوية الثقافية من مخاطر العولمة فالانغلاق على الذات ورفض الآخر جملة وتفصيلا يعني التأخر عن ركب الحضارة، والبقاء على دهاليز التخلف التقني والصناعي والعلمي والتكنولوجي.

إننا نعترف بأن الهوية الثقافية هي صفات وأحاسيس، ونمط حياة، هي في كل شيء، في الملبس والمأكل، والموسيقى والفن، والثقافة وفي العادات والتقاليد، لكن بالمقابل يجب أن نعترف أن هذا النمط المعيشي يجب أن يتفاعل مع المتغيرات المحيطة به، ويتغير معها، دون أن يذوب فيها. يعود إلى الأصالة لكن يواكب الجديد.

إن إشكالية المثقف العربي هي تغَنيه "بالعصرنة" ، فتجده يأخذ منها نتاجها دون آليات تقدمها وبالتالي يبقى أسيرا داخليا في ماضيه على المستوى السيكولوجي، وعبدًا للوافد على المستوى المادي. ولهذا أصبح الفكر العربي يعاني من هوة بين التراث ومعطيات العصر بين الواقع والفكر.

- وخلاصة القول أن الحل الأمثل لمواجهة سلبيات العولمة الثقافية لا يكون إلا بمنهجية محكمة تمكننا من الاستفادة من العولمة وتجنب آثارها السلبية. فهي حدث يتوقف أثره على كيفية التعامل معه. وصحيح أنها ترتبط بالتطورات التكنولوجية ولا يمكن الفصل بينهما، من حيث القبول والرفض، ولكن الربط الصحيح هو في كيفية تمييز العقل السليم والمنطق بين هذا وذاك.

والمطلوب منا نحن العرب أن تكون لنا رؤية إبداعية قومية للثقافة العربية. يمكننا بواسطتها أن نتصدى للتحديات التي تفرضها علينا العولمة الثقافية والتي تدق بعنف أبواب ثقافتنا بغية غزوها وإلزامها بإتباع نموذجها الثقافي، ولن يكون هذا التصدي إلا عن طريق الإبداع الفكري وتوطين التكنولوجيا وتطويرها ، وليس استهلاكها واستيرادها وذلك كله بدون المساس أو الرفض للتراث الثقافي العربي.

ويرى الدكتور "محمد الشبيني "في كتابه صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة أن التحديات التي تفرضها علينا العولمة الثقافية تحتم علينا أن نعي أمورًا أربعة:

" الأمر الأول: هو أن نبتعد عن مسألة "الهيستيريا" والقلق الذين يعتريان عدد من المفكرين العرب الذين يتوجسون خيفة من العولمة الثقافية على التراث العربي الإسلامي والعدوان عليها ومن ثم تهميشه...

الأمر الثاني: هو أن قبول الحداثة والإبداع والابتكار في الفكر العربي أصبح حتمية لا جدال فيها، إذا ما أريد لهذا الفكر أن ينمو ويزدهر في مواجهة العولمة الثقافية الغربية التي تتميز بالديناميكية الفكرية، والتفوق العلمي والتكنولوجية الحديثة.

والأمر الثالث: هو ضرورة أن ينفتح الفكر العربي على الثقافات الأخرى وأن يعمل على التفاعل معها، ومواكبة النهضة الحديثة التي تعيشها الثقافة الغربية.

والأمر الرابع: هو أن نزيد من رصيدنا الثقافي، ونعمل على مواصلة تحديثه والإبداع فيه، حتى يكون هذا الرصيد مواكبا للحياة المعاصرة، متصفا بالنمو والتطور، ويصبح قادرا على مواجهة العولمة الثقافية والتفاعل معها بدلا من مقاومتها والصراع معها "(12)

إن إعادة بناء الفكر العربي وتجديده على هذه الأسس يتطلب أولا وأخيرا انجازات هائلة تقوم على التعاون المستمر بين الدول العربية والتنسيق فيما بينها. والحوار الموضوعي بين مفكريها حتى تتمكن الثقافة العربية من إبراز ملامحها على خريطة العولمة الثقافية.

ويبقى في الأخير أن نقول أن موضوع العولمة هو موضوع لا يمكن أن نوفيه حقه في هذه العجالة. والحلول التي اقترحت مجرد ومضات مبدئية تحاول أن تثير قريحة كل مفكر وكل مهتم بمسألة العولمة.

قائمة المراجع والمصادر:

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، سنة 1955، كلمة "علم" ج 12، ص 420.

2 - إبراهيم عبد الهادي المليجي، محمد محمود المهدلي "العولمة وأثرها في التخطيط الاجتماعي" المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، سنة 2005، ص 13 -14.

3 - د. علاء الدين ناطوريه ""العولمة وأثرها في العالم الثالث" التحدي والاستجابة - مركز الأبحاث والدراسات الدولي ولاية اللنوي، دار زهران للنشر، والتوزيع، الأردن، عمان، سنة 2001، ص 9 -10.

4 - د. عبد الجليل كاظم الوالي "جدلية العولمة بين الاختيار والرفض" دار الكتاب الجامعي الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، سنة 2010، ص .17

5 - أ. د إبراهيم عبد الهادي المليجي و د. محمد محمود المهدلي "العولمة وأثرها في التخطيط الاجتماعي " مرجع سبق ذكره ص 16.

6 - د. عبد الجليل كاظم الوالي "جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، مرجع سبق ذكره، ص 18.

7 - د. عبد الخالق عبد الله " العولمة: جذورها، فروعها وكيفية التعامل معها" من مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون العدد الثاني، سنة 1999. ص 67.

8 - د. رحيمة الطيب عيساني "العولمة الإعلامية وأثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية" عالم الكتب الحديثة، أربد - الأردن، سنة 2010، ص 42.

9 - نفس المرجع، ص 42 -.43

10 - د. عبد الخالق عبد الله "العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها" مرجع سبق ذكره، ص .89

11 - 8 - د. رحيمة الطيب عيساني "العولمة الإعلامية وأثارها على مشاهدي الفضائيات الأجنبية" مرجع سبق ذكره، ص 49.

12 - د. محمد الشبيني " صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة" دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2002، ص 120.